القيم في المغرب .. أزمة مدرسة، أم أزمة مجتمع؟

د. أحمد سـوالـم

مقدمة

تعدّ التربية على القيم من الركائز الأساسية التي يقوم عليها العمل التربوي باعتباره هدفاً ووظيفة؛ فهي إحدى وظائف المدرسة التي تعتبر مرآة متجددة للمجتمع ومنظومته القيمية. ويكتسي موضوع القيم راهنيته بفعل العولة والثورة التقنية والتكنولوجية التي عرفها العالم، وما أحدثته من تغيرات اقتصادية واجتماعية وثقافية محلية وعالمية، أعادت النظر في معظم تصورات الإنسان عن ذاته وعلاقاته وقيمه.

مشكلة الدراسة

يعيش العالم ومعه المغرب أزمات سياسية واقتصادية وثقافية بفعل تأثيرات العولة، وامتدت هذه الأزمات إلى حصانة الشعوب ودرعها الواقى وهي القيم، التي نرى مظاهر انهيارها جلية يوماً عن يوم من انحرافات داخل المجتمع، والتي امتدت إلى المدرسة التربوية التي كانت مؤثلاً للقيم والأخلاق والتربية والقدوة، واليوم تعيش بدورها أزمة انهيار المنظومة القيمية حيث أصبحت تنتشر فيها مظاهر العنف والمخدرات.. وذلك فيه تهديد لمستقبل الأجيال القادمة، وعامل معيق لتطور مجتمعنا السياسي والاقتصادي والثقافي.

أهمية الدراسة

تكتسب دراستنا هذه أهمية بالغة الأثر، تنبع من كونها تتناول موضوعاً تربوياً يمتاز

* استاذ التاريخ والجغرافيا ثانوي تأهيلي بثانوية عباس محمود العقاد- وباحث في التاريخ المعاصر.

بالراهنية، وهو موضوع القيم التي عرفت خلخلة عميقة بفعل التحولات والطفرة التي شهدتها المجتمعات المعاصرة في إطار العولة ومنها المغرب. وما أحدثته من تأثيرات في قيم المجتمع الوطنية والدينية والتربوية؛ مما جعلنا ندخل في أزمة قيم امتدت آثارها إلى المدرسة.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- التعريف بإحدى المشكلات التربوية التي تعاني منها المدرسة والمجتمع المغربي على حد سواء.
- التفاعل الإيجابي مع بعض الأحداث اللاتربوية المعزولة التي عرفها الحقل التعليمي خلال الآونة الأخيرة، والمرتبطة أساساً بالقيم التي عرفت تراجعاً خطيراً في الفضاء التربوي؛ مما يشوش على قدسية المدرسة والعملية التعليمية التعلمية برمتها.
- التأكيد على أهمية القيم بالنسبة إلى الفرد وبناء المجتمع في كل المستويات والمجالات، وانهيارها هو تهديد للفرد والمجتمع على حد سواء.
- تقديم مقترحات وتوصيات للجهات المعنية قصد تفعيلها.

إنشكالية الدراسة

أصبحت قضية القيم وما تعانیه من انهيار داخل المجتمع من أهم القضايا التي استأثرت باهتمام التربويين وعلماء الاجتماع والنفس والدين، وانتقلت هذه الأزمة من المجتمع إلى الوسط المدرسي، وهذا ما سنحاول الوقوف عليه في هذه الدراسة.

تساؤلات الدراسة

ماذا نعني بالقيم؟ والتربية على القيم؟ وما تصنيفاتها وخصائصها؟ هل واجب المدرسة المعرفة، أم واجبها تربية النشء على الفضائل والرقى بأخلاقه؟ وهل تخلت المدرسة المغربية عن أدوارها التربوية، أم أن تحديات العصر تجاوزت إمكاناتها؟ هل التطبيقات البيداغوجية الحالية قادرة على تسهيل عملية نقل القيم للمتعلمين؟ وهل مسئولية المدرسة بوصفها مؤسسة وطنية عمومية التنشئة والتربية في أزمة القيم، أم يكمن دورها في معالجتها وتجاوزها؟ وما الصعوبات التي تقف في وجه ذلك؟ وكيف السبيل إلى تجاوزها؟

محاور الدراسة

- القيم والتربية على القيم : المفهوم والخصائص.

- مجتمع متغير.. وقيم تتغير.
- صعوبات.. وحلول في أفق تجاوز أزمة القيم.
- التربية على القيم في المرجعيات التربوية.

أولاً: القيم والتربية على القيم : المفهوم والخصائص

القيمة واحدة القيم، فعلها يُقِيمُ، وماضيها قَيِّمٌ، وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء. فالقيمة ثمن الشيء بالتقويم. تقول: تقاوموه فيما بينهم. وما له قيمة إذا لم يدم على شيء. وتأتي كلمة القيمة لغويًا بمعانٍ متعددة : كالتقدير، فقيمة هذه السلعة كذا، أي تقديرها كذا. وبمعنى الثبات على الأمر، نقول: فلان ما له قيمة. وبمعنى الاستقامة والاعتدال، يقول الله تعالى: "إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم"، أي يهدي للأمور الأكثر قيمة، "أي للأكثر استقامة". أما اصطلاحاً، فتعريف القيم يختلف من حقل علمي لآخر ومن مفكر لآخر وبناءً على المجال التربوي الذي تنتمي إليه (اقتصاد، فلسفة، دين...)، وتبعاً لنوع القيم ذاتها (اجتماعية، دينية، اقتصادية...).

وقد عرّف ماكس فيبر Weber القيمة، بأنها " أسلوب في الحياة لدى الفرد أو الجماعة لها طابع مثالي يعطي للموجودات وطرائق الحياة صفة المرغوب فيه والمستحسن، وهي بذلك جزء تجريدي يدعو الفرد للانخراط فيه واقتراحه، وجزء مادي مجسد يظهر في الأشياء وطرائق الحياة التي تعبر عنها".

وعرفتْها ذياب فوزية، باعتبارها "أحكاماً تصدرها وفق مجموعة من المبادئ والمعايير التي وضعها المجتمع الذي نعيش فيه والذي يحدد المرغوب فيه والمرغوب عنه، أي هي مفهوم تجريدي يؤثر على اختياراتنا من عدة بدائل لطرق ووسائل وأهداف السلوك".

وهي كذلك " .. معتقدات لما هو مرغوب أو حسن وما هو غير مرغوب أو سيئ، وهي تعكس ثقافة المجتمع ويشارك فيها أغلب أعضاء المجتمع، وإذا قبل الفرد قيماً لنفسه فإنها يمكن أن تصبح هدفاً له".

في حين اعتبر أحمد أوزي- باحث وأستاذ بكلية علوم التربية بالرباط، ومدير ومؤسس مجلة علوم التربية بالمغرب-: "كل تعريف إجرائي مهما كان نوعه، إلا ويتميز بثلاثة مظاهر، هي : المظهر المعرفي، الطبيعة الوجدانية، الخاصية السلوكية".

أما القيم في الحقل التربوي، فهي " مجموعة المعايير الموجهة لسلوك الإنسان ودوافعه في

تناسق أو تضارب مع الأهداف والمثل العليا التي تستند إليها علاقات المجتمع وأنشطته، ولذلك فهي تتميز عن غيرها من الدوافع السلوكية، كالعادات والاتجاهات والأعراف، في كونها تتضمن سياقاً معقداً من الأحكام المعيارية للتمييز بين الصواب والخطأ، بين الحقيقي والزائف، وتمثل وعياً جماعياً، وتكون أكثر تجريداً ورمزية وثباتاً وعمومية، كما تكون أكثر بطئاً في التكوين وتهم غاية من غايات الوجود، وامتنالاً لأوامر، تنبع من داخل الإنسان وليس بناء على ضغوطات خارجية". فالقيم في الحقل التربوي، إذن هي "أنزمات التعلم المجد"، الهدف منها إعداد التلميذ للإدماج الاجتماعي؛ ليكون قادراً على التعايش ضمن التعدد في مجتمع ديمقراطي منفتح على العالم، وعلى المشاركة في العمل الجماعي لأجل بناء مجتمع عادل ومنصف، استناداً إلى قيمتي المواطنة وحقوق الإنسان، وضمان الإدماج الاجتماعي.

تأسيساً على التعاريف السابقة، يمكن تعريف القيم بكونها:

- مقاييس ومعايير تجريدية، ضمنية كانت أم صريحة، لأحكام بالترتيب للأشياء والمعاني.
- موجهة لسلوك الأفراد، ومحددة له المرغوب فيه والمرغوب عنه، وتستخدم لتنظيمه.
- تكتسي طابعاً جماعياً في الاستخدام.
- تكون محل اعتزاز وتقدير من الفرد، وقد ترقى إلى مستوى العقيدة.

فالقيمة، هي مجموع المعتقدات والاعتقادات التي ينظر من خلالها الفرد إلى أي موضوع سيكولوجي: إنسان، حدث، سلوك، أو شيء، والتي تعمل على توجيه رغباته واتجاهاته نحو هذه الموضوعات السيكولوجية وتحدد طبيعة سلوكه تجاهها: القبول، الرفض، اللامبالاة، التعاطف، التحامل.

وتمتاز القيم بمجموعة من الخصائص، منها:

- الوعي.
- الذاتية: ارتباطها بنفسية الإنسان ومشاعره حيث تشمل بذلك الرغبات والميول والعواطف التي تختلف من إنسان لآخر، أي أنها ترتبط بشخصية الفرد وذاته؛ وهي بذلك تتأثر بذاتية الفرد وميوله وذوقه.
- النسبية الزمانية والمكانية: أي ارتباطها بالزمان والمكان؛ فالقيم متغيرة من مكان لآخر ومن زمان لآخر.
- خاصية التراتبية أو سلم القيم: وذلك حسب أهميتها بالنسبة إلى الفرد والمجتمع، فالتاجر تكون قيمه الاقتصادية قمة هرم قيمه، والمحامي تكون قيمه الكونية والنظرية على قمة هرمه

القيمي، ورجل الدين تكون القيم الدينية على قمة هرمه القيمي. والقيم في تراتبيتها لا تكون ثابتة، بل تتبادل المراكز فيما بينها حسب ظروف الفرد.

- التكاملية: فالقيم توجد ضمن منظومة متكاملة يشد بعضها بعضاً، وتقوي ممارسة كل قيمة ما يرتبط بها من القيم الأخرى، وتحتاج ممارسة كل قيمة، إلى ما يتصل بها من القيم الأخرى، وتستدعي اكتساب أخلاقها ومقتضياتها السلوكية والانفعالية، وكل إخلال بقيمة ما، يؤدي حتماً إلى تصدع المنظومة برمتها ويعرضها للانحيار.

- الصلاحية أي أن القيم تفهم من خلال ثقافتها لا من خلال ثقافة أخرى، أي من الداخل وليس من الخارج.

ويخضع تصنيف القيم لعدة اعتبارات، كالحقل العلمي للقائم بالتصنيف (فلسفة، تربية، دين...); لذلك نجدها متعددة ومختلفة. فهناك من صنفها إلى قيم مادية وأخرى روحية، في حين قسمها بعض ثانٍ كعبد الرحمن بدوي إلى ثلاث: قيم عقلية وقيم جمالية وقيم أخلاقية، في الوقت الذي صنفها فيه نفر ثالث على أساس مادي محسوس وغير محسوس، وكذلك تم تقسيمها حسب نوعيتها إلى: اقتصادية.. اجتماعية.. سياسية.

وهناك تقسيمات أخرى، تتحكم فيها طبيعة الحقل العلمي للباحث وروافده الفكرية والثقافية. وبرزت أهمية العناية بالقيم وغرسها في عالم اليوم، المتسم بالتغير والتقلب وبضمور الهويات الدينية والوطنية والقومية لحساب الهويات العالمية المتسمة بالفردانية والمجتمع الاستهلاكي واستهداف المقومات الدينية والحضارية للأمم؛ وذلك نتيجة لتأثيرات العولمة والتطورات العلمية والتقنية والتكنولوجية التي يعرفها العالم.

وقد ازدادت أهمية التربية على القيم في وقتنا الحالي، وبالتالي ازدادت معها أدوار المؤسسات الاجتماعية (الأسرة، والمؤسسات الدينية، والمدرسة...) التي تقوم بهذا الدور. فتربية الأسرة، تكتسي دوراً مهماً في زرع وتنمية القيم الاجتماعية الإيجابية لدى الأطفال، بل لها تأثير قوي في تنمية القيم بمختلف أنواعها وغرسها.

وتعدّ المدرسة امتداداً للأسرة في التربية على القيم بالنسبة إلى الأطفال، إلا أنها تتميز عنها وعن باقي المؤسسات التربوية الأخرى بمجموعة من الخصائص والسمات، كاتساع البيئة الاجتماعية المدرسية وقيامها على أساس غربة وتنقية الثقافة؛ مما قد يتخللها من شوائب وانحرافات، كما تتميز بالانضباط والتنظيم.

إلا أن التغيرات التي عرفها المجتمع المغربي بفعل تأثيرات التحولات الاقتصادية والاجتماعية

والثقافية للعملة والتحولات التقنية، ساهمت في خلخلة منظومته القيمية؛ مما جعلنا نتحدث عن مجتمع يتغير وقيم تتغير. كيف ذلك؟

ثانياً: مجتمع متغير.. وقيم تتغير

ساهمت مجموعة من العوامل في حدوث أزمة القيم في المجتمع المغربي، منها التضخم الهائل للمعرفة والتكنولوجيا والتطور المتزايد لوسائل الإعلام والاتصال الذي عرفه النصف الثاني من القرن العشرين وما ترتب عليها من اختلال التوازن النفسي والاجتماعي عند الإنسان الذي تكتنفته بيئة مصطنعة وملوثة تتسع فيها الهوية بين المعرفة الوضعية والأخلاق وبين العقلانية والقيم الروحية، فالشباب يعيش تمزقاً نفسياً مؤلماً حيث الاستهلاك المتزايد للمخدرات والتمردات العاطفية والعنف بأشكاله، وتنافر الأجيال وتفكك الأسر ليسا إلا تعبيراً عن قلق عميق، في هذا الواقع المضطرب تفقد الإيديولوجيات والفلسفات وحتى بعض الأديان آثارها على الناس، فتصير محط ارتياب وتساؤل. فالتحولات الاجتماعية السريعة التي عرفها المجتمع متمثلة في التمرکز المدني لسكان بفعل الهجرة القروية لأسباب اقتصادية واجتماعية؛ بحثاً عن تحسين مستوى العيش والاستفادة مما تتيحه المدينة من فرص الشغل وخدمات اجتماعية ووسائل اتصال متطورة. فالتحولات المتسارعة التي عرفها المجتمع لم يصاحبها تجديد ومسيرة على مستوى المنظومة القيمية للمجتمع، فقد تمت زعزعة القيم التقليدية وظهرت قيم جديدة قائمة على النهج الاستهلاكي والأنانية المفرطة والغاية تبرر الوسيلة... قيم مختلفة تماماً عن قيم المجتمع التي كانت سائدة والتي توارثتها الأجيال. فأزمة اليوم هي أزمة ناتجة عن الصراع بين القديم والجديد، بين الأصالة والمعاصرة، بين أشكال القيم القديمة والأنساق القيمية المستحدثة، والتي ظهرت بفعل عمليات التغيير الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع مما أحدث تناقضاً فيما بين القيم القديمة والقيم المستحدثة، ويجعل إشكالية القيم دائمة الراهنية لكونها دائمة التغير في ارتباط بتطور المجتمع وتحوله، وتجدد غاياته وأهدافه بما يفرض تعديل القيم القديمة وبناء عالم جديد على أساس قيم قديمة.

وقد عرف المجتمع المغربي تغيرات مهمة على الأصعدة والمستويات كافة؛ مما ساهم في حدوث تحولات وتغيرات في منظومته القيمية، والتي حددها محمد بلكبير في أربعة مستويات، هي :

- الاستمرارية: ويعني بها قيماً كانت سائدة وما زالت على الرغم من تغير شكلها.

- البدائل: قيم جديدة عوضت قيماً قديمة.
 - انطواء وفراغ: اختفاء قيماً قديمة دون تعويضها بأخرى جديدة.
 - التجديد: ظهور قيم جديدة لم تكن معروفة بفعل التحولات التي عرفها المجتمع.
- فأهمية منظومة القيم في بناء الفرد والمجتمع والتحويلات والتغيرات التي عرفتها، تفرض ضرورة مواكبة المنظومة التربوية المغربية لها والسعي لترسيخها وغرسها لدى ناشئة المغرب المستقبلية. مما يدفعنا للتساؤل عن موقع منظومة القيم في المرجعيات التربوية المغربية.

ثالثاً: التربية على القيم في المرجعيات التربوية

تعدّ المدرسة حاضنة للقيم ومكاناً تربوياً مهماً أساسياً لتلقيها وتعزيزها وترسيخها فكراً وممارسة في صفوف التلاميذ، فالقيم تنمى على مستوى الممارسة، بدءاً بفضاء الدرس والمجتمع المدرسي، ليتسع مجالها في الفضاء المجتمعي العام. وهو ما يحتم على المدرسة عدم إغفال دورها في ترسيخ القيم، إلى جانب اهتمامها بترسيخ المعلومات والمعارف الدراسية.

فأهمية وظيفة المدرسة، تكمن في كونها تحتضن الإنسان في أكثر مراحل حياته أهمية، وفي كونها تهدف إلى تكوين المواطن المعتز بوطنيته ودينه وقيمه الحضارية والكونية، ومن ثم فالرهان قائم على المدرسة لترسيخ القيم بأبعادها وأنواعها كافة.

وقد احتلت منظومة القيم أهمية قصوى في المرجعيات التربوية المغربية، وللوقوف على ذلك سننعمد على أهمها، وهي: الميثاق الوطني للتربية والتكوين، والكتاب الأبيض، والبرنامج الاستعجالي، والرؤية الإستراتيجية للتربية والتكوين ٢٠١٥ - ٢٠٣٠.

ويعدّ الميثاق الوطني للتربية والتكوين من أهم وثائق الإصلاح التربوي والنظام التعليمي التي اعتمدها المغرب؛ استجابة ومسايرة للمستجدات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتربوية التي تعرفها البلاد. فالميثاق هو عبارة عن منظومة إصلاحية تضم مجموعة من المكونات والآليات والمعايير لإصلاح النظام التربوي وتجديده من خلال عشرية وطنية (٢٠٠١ - ٢٠١٠)؛ لتحقيق أهدافه المرسومة، وهو مكون من قسمين أساسيين: الأول، خصص للمرتكزات الثابتة لنظام التربية والتكوين والغايات وحقوق وواجبات كل الشركاء، وخصص القسم الثاني لمجالات ودعمات التغيير.

وقد أولى الميثاق الوطني للتربية والتكوين أهمية لمنظومة القيم، فشكلت أحد مرتكزاته الثابتة، ونصّ على القيم التي ينبغي للمدرسة المغربية أن تعمل على تفعيلها كقيم العقيدة الإسلامية، وعلى

رأسها قيم الاستقامة والصالح والاعتدال والتسامح وحب العلم والمبادرة الإيجابية بشتى أنواعها ومستوياتها.

"يهتدي نظام التربية والتكوين للمملكة المغربية بمبادئ العقيدة الإسلامية وقيمتها، الرامية لتكوين المواطن المتصف بالاستقامة والصالح، المتسم بالاعتدال والتسامح، الشغوف بطلب العلم والمعرفة، في أرحب آفاقها، والمتوقد للاطلاع والإبداع، والمطبوع بروح المبادرة الإيجابية والإنتاج النافع".

"يتأصل النظام التربوي في التراث الحضاري والثقافي للبلاد، بتنوع روافده الجهوية المتفاعلة والمتكاملة، ويستهدف حفظ هذا التراث وتجديده، وضمان الإشعاع المتواصل به لما يحمله من قيم خلقية وثقافية".

كما تحدث المرتكز الثاني من الميثاق، عن مواصفات المواطنين المتعلمين فهم "...متشبعون بروح الحوار وقبول الاختلاف، وتبني الممارسة الديمقراطية في ظل دولة الحق والقانون". وفي الغايات الكبرى تحدث عن "تنشئة المتعلمين على الاندماج الاجتماعي، واستيعاب القيم الدينية والوطنية والمجتمعية".

ويعدّ الكتاب الأبيض من المرجعيات الأساسية المؤسسة لمنظومة التربية والتكوين بالمغرب، وهو وثيقة إطار أصدرته وزارة التربية الوطنية سنة ٢٠٠٢، ويقع في ثمانية أجزاء وما يربو على ١٩٣٠ صفحة من القطع الكبير. والكتاب ثمرة جهود لجان مراجعة المناهج التربوية المغربية التي التأمّت جهويّاً ومركزيّاً؛ بغرض إعادة النظر في المناهج الدراسية وتحسينها باتجاه إجراء اختيارات وتوصيات الميثاق الوطني للتربية والتكوين. ويضم مجموعة من الإجراءات التي تهم كل سلك تعليمي والفلسفات الكبرى والكفايات، وينبني على اختيارات وتوجيهات على مستوى القيم وعلى مستوى تنمية الكفايات في مجال المضامين وتنظيم الدراسة ومواصفات المتعلمين.

وقد أولى الكتاب الأبيض لموضوع القيم أهمية كبرى، فتحدث بتفصيل عن الاختيارات والتوجهات التربوية العامة؛ حيث صرح: "باعتداد التربية على القيم وتنمية وتطوير الكفايات التربوية، والتربية على الاختيار بوصفه مدخلاً بيداغوجياً لمراجعة مناهج التربية والتكوين"، وجعل من "المدرسة مجالاً حقيقياً لترسيخ القيم الأخلاقية، وقيم المواطنة وحقوق الإنسان وممارسة الحياة الديمقراطية".

وعدّد الكتاب الأبيض في ثناياه مجموعة من حاجات المتعلمين التي سيعمل نظام التربية والتكوين بمختلف الآليات والوسائل على الاستجابة لها، نذكر منها: الثقة بالنفس، والانفتاح على

الغير، والاستقلالية في التفكير والممارسة، والتفاعل الإيجابي مع المحيط الاجتماعي على اختلاف مستوياته، والتخلي بروح المسؤولية والانضباط، وممارسة المواطنة والديمقراطية، وإعمال العقل، واعتماد الفكر النقدي، والإنتاجية والمردودية، وتثمين العمل والاجتهاد والمثابرة والمبادرة والابتكار والإبداع، والتنافسية الإيجابية، والوعي بالزمن والوقت باعتبارهما قيمتين أساسيتين في المدرسة وفي الحياة واحترام البيئة الطبيعية، والتعامل الإيجابي مع الثقافة الشعبية والموروث الثقافي والحضاري المغربي.

وجاء البرنامج الاستعجالي الذي وجه نقداً لاذعاً للمدرسة المغربية التي أصبحت في العقود الأخيرة، مرتعاً لتنامي مظاهر العنف وانعدام الاحترام سواء بين المتعلمين أو بين المتعلمين والمدرسين؛ مما نتج عنه النفور من المدرسة وفقدانها لوظيفتها التربوية وللترية على القيم سواء قيم العقيدة الإسلامية أو قيم المواطنة أو قيم حقوق الإنسان ومبادئها الكونية. كما وقف عند تدهور البنيات التحتية للمؤسسات التعليمية، واقتراح البرنامج عدة تدابير من أجل التأسيس لثقافة الاحترام داخل المؤسسات التعليمية، منها:

- وضع ميثاق يتضمن حقوق وواجبات كل الأطراف داخل كل مؤسسة على حدة. وتكمن الغاية من هذا الميثاق في تحديد وإبراز مسؤوليات كل الفاعلين في المنظومة التربوية.
- إحداث آلية للوساطة تسهم من خلال الاستماع والحوار في التخفيف من حدة التوترات، والتقليل من حجم السلوك العدواني.
- ترسيخ "سلوك مهني" للمدرسين بواسطة التكوين؛ من أجل إعطاء التلاميذ صورة عن الصرامة النموذجية والانسجام مع المبادئ المعلنة للمدرسة، علاوة على عقد شراكات مع السلطات (الأمن الوطني، والقوات المساعدة، والدرك الملكي، ووزارة العدل) لتنظيم حملات تواصلية وحملات للقضاء على العنف.

أما الرؤية الإستراتيجية ٢٠١٥ - ٢٠٣٠، فقد انطلقت من محاولة تشخيص مكتسبات النظام التربوي المغربي وتثمينها، منها منظومة القيم في التربية، وذلك عبر تحديد مكامن الخلل في هذا النظام من أجل العمل على تجاوزها، والتي في مقدمتها "ضعف التمكن من اللغات والمعارف والكفايات والقيم". ودعم هذه الرؤية بخصوص منظومة القيم في التربية والتكوين في التقرير الصادر عن المجلس الأعلى للتعليم في يناير ٢٠١٧، المعنون بـ"التربية على القيم بالمنظومة الوطنية للتربية والتكوين والبحث العلمي"، الذي أكد على أن "المدرسة ذراع مجتمعي بالغ الأهمية؛ لصيانة الثوابت الوطنية ولنقل القيم المشتركة للمجتمع المغربي، والمعبر عنها في وثائق الإصلاح المختلفة".

وتوضح المرجعيات التربوية السابقة، الأهمية التي تحظى بها منظومة القيم وترسيخها في المدرسة المغربية داخل النظام التربوي، إلا أنه على الرغم من هذه الأهمية تعترض إجراءاتها وترسيخها مجموعة من الصعوبات والعراقيل التي تحتاج حلاً؛ لتجاوز التناقض الحاصل بين التنظير التربوي الذي يولي أهمية لمنظومة القيم والممارسة، التي لا ترقى إلى الوظيفة الحقيقية للمدرسة في التربية على القيم وترسيخها. كيف ذلك؟

رابعاً: صعوبات .. وحلول في أفق تجاوز أزمة القيم

إذا كان التعليم يعدّ المدخل الأساسي لترسيخ التربية على القيم بكل أشكالها الدينية والوطنية والكونية، فإن قيامه بهذه الوظيفة عبر المدرسة يعترضه العديد من الصعوبات التي تحتاج إلى حلول. فما أهم الصعوبات التي تعترض إرساء وترسيخ التربية على القيم بالمدرسة المغربية؟ وما أهم الحلول المقترحة لتجاوزها؟

حدد عبد اللطيف المودني - الأمين العام للمجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي بالمغرب، والمدير المسؤول عن مجلة دفاتر التربية والتكوين الصادرة عن المجلس، حدد الصعوبات التي تعترض التربية على القيم بالمدرسة المغربية في خمس هي:

- إشكالية تقاسم المسؤولية في نقل القيم وترسيخها بين عدة متدخلين (الأسرة، والمدرسة، والمجتمع، والإعلام، والجمعيات...).
- محدودية التجسيد الفعلي للقيم في السلوك والممارسات، مقابل تضخم الخطاب البيداغوجي الذي يتم إنتاجه عن القيم.
- موسمية البرامج المخصصة للتربية على القيم، وإشكالية استمرارها واستدامتها.
- الوضعية المتناقضة فيما يخص التربية على القيم، بين خطاب التنظير وآليات الممارسة، وبين ما يتلقاه المتعلم داخل الفصول الدراسية وبين ما يمارسه سواء داخل المؤسسة أو هما معاً؛ مما يفرض ضرورة الانتقال بالتربية على القيم من التوجيهات والبرامج التربوية إلى الفصول الدراسية وفضاءات المؤسسات التعليمية، ومن طابعها المثالي إلى الممارسة الفعلية.
- نقص الأدوات الكفيلة بتتبع الآثار على مستوى بناء السلوك والفعل؛ مما يقتضي تقويم القيم كما تقوم المعارف والمكتسبات.
- إن إيجاد حلول لأزمة القيم في المجتمع والمدرسة، يستلزم أولاً الاتفاق حول مسبباتها والوعي بأهميتها؛ لأن لا محالة سيسهل التفكير في إيجاد وسائل وطرق لتجاوزها من خلال

ملاءمة العناصر الثقافية والقيم التقليدية لمتطلبات التطورات العلمية المعاصرة عبر الاهتمام بالتراث الثقافي والتاريخي للمجتمع، وترسيخ القيم الإيجابية وغرسها في نفوس الشباب بهدف تعزيز الثقة بالذات والاعتزاز بالانتماء الوطني والديني وفق سياق دولي وثقافي متغير؛ مما يكسب النشء القدرة على الاستفادة من الثقافات والحضارات الوافدة، وحماية نفسه ومجتمعه من أخطارها.

وقد خلص تقرير المجلس الأعلى للتربية والتكوين بالمغرب سنة ٢٠١٧، إلى عدة توصيات لتجاوز أزمة القيم بالمدرسة المغربية، أهمها:

- وضع برنامج عمل وطني وجهوي للتفعيل.
- إعداد ميثاق تربوي تعاقدى للتربية على القيم، مؤطر للتدابير التربوية والشراكات.
- إطار مرجعي عام لمنظومة القيم المستهدفة ومجالات التربية عليها.
- تنويع المقاربات والأساليب في تفعيلها مع مراعاة تكاملها وانسجامها.
- تعزيز أدوار الرصد والتقييم المنتظم.

كما يجب العمل على بناء مشروع قيمي مجتمعي ينخرط فيه الجميع أفراداً ومؤسسات، وكذلك توطيد العلاقة بين المدرسة وباقي الفاعلين من مؤسسات اجتماعية وتربوية وأكاديمية عبر اعتماد مقاربات تعاقدية مبنية على الأهداف، مع ضرورة تكوين الأطر التربوية في مجال القيم وكيفية تدريسها وترسيخها وتقييمها وفق طرق علمية دقيقة، والعمل على ترسيخ ثقافة الاعتراف في الحياة المدرسية عبر تحفيز وتشجيع المبادرات المتميزة للفاعلين في الوسط المدرسي سواء من الأساتذة أو المتعلمين. كما يجب الاهتمام بالأنشطة الصفية والمندمجة عبر تخصيص جزء من الزمن المدرسي؛ لاكتساب القيم وترسيخها. وتعدّ النوادي التربوية موائماً مهمة لتفعيل ثقافة القيم وفضاءات لتنمية الميول والمواهب وترسيخ السلوك المدني، وتجسيداً عملياً للمقاربة التشاركية في تدبير الحياة المدرسية، وذلك يتطلب تهيئة المؤسسات التعليمية وفضاءاتها حتى تسمح بتنفيذ أنشطة مدرسية فاعلة (مرافق وتجهيزات لوجستية...)، مع ضرورة إشراك الإعلام في ترسيخ القيم داخل المدرسة العمومية لما له من أهمية في صناعة اتجاهات وسلوك الأفراد عبر العمل على تثبيت مبدأ النموذج والقُدوة الصالحة.

كما لا ننسى، أهمية المجتمع المدني من مؤسسات تربوية وجمعيات وتعاونيات في ترسيخ القيم في الوسط المدرسي، وذلك عبر تفعيل شراكات مع المؤسسات التعليمية للقيام بأنشطة ومشاريع تربوية في فضاءاتها، كما للمثقفين دور مهم في تجاوز أزمة القيم في المدرسة والمجتمع

على حد سواء عبر استعادة أدوارهما في التوجيه والبناء؛ لأن أزمة القيم مرتبطة ارتباطاً جذرياً بتراجع أدوار المثقف في المجتمع والمدرسة.

نافلة القول، إن أزمة القيم هي أزمة مجتمع قبل أن تكون أزمة مدرسة، في تفاعله مع تأثيرات العولمة والتطور التقني والتكنولوجي الذي عرفه العالم، وهي ليست أزمة محلية خاصة بمجتمع دون آخر بل هي أزمة عالمية تعرفها مختلف مجتمعات العالم بدرجات وتجليات مختلفة، جعلت الوضع الإنساني أسوأ من السابق؛ بفعل ضياع القيم وتدهور الاتجاهات والأخلاق. فالقيم هي محرك السلوك الإنساني، وبدونها تتجه المجتمعات الإنسانية نحو الدمار والخراب؛ مما يفرض على القائمين على الشأن التربوي والسياسي إيلاءها أهمية قصوى تحصيناً لهويتنا وخصوصيتنا الثقافية والدينية والحضارية في هذا السيل الجارف بفعل العولمة السياسية والاقتصادية والثقافية. لأنه لا سبيل لنهضة أمتنا، وتماسك مجتمعنا، وحصين أبنائنا ضد كل المؤثرات السلبية التي تحرق بهم، من مخدرات وعنف وتشدد ديني ... إلا بتفعيل منظومتنا القيمية الوطنية والدينية والحضارية، وذلك عبر إصلاح تربوي شامل يهتم بالخصوصية والهوية في أبعادها كافة (دينية ووطنية وحضارية...)، ويمنح لقيمنا أولوية الحضور في المناهج والبرامج التربوية، وذلك كفيل بتجنب وطننا الآثار السلبية للعولمة والتقدم التقني والتكنولوجي الذي يعرفه العالم، ويمسي عاملاً مساعداً على تحقيق التنمية في مختلف أبعادها.

المراجع المعتمدة

- أسيداه محمد، المدرسة والمجتمع وأزمة القيم، مجلة فكر ونقد، متاح على الرابط : [https://www.aljabriabed.net/n81_04asydah.\(1\).htm](https://www.aljabriabed.net/n81_04asydah.(1).htm) تاريخ الزيارة: ٢١/٨/٢٠١٩
- أوزي أحمد، المراهق والعلاقات المدرسية، الشركة المغربية للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، ١٩٩٣
- بلكير محمد، مركز الدراسات والأبحاث في القيم، www.alqiam.ma
- <http://www.alqiam.ma/Article.aspx?C=5636> تاريخ الزيارة : ٢١/٨/٢٠١٩
- بن كعبة محمد، مسعودي أحمد، سوسيولوجيا القيم: قراءة في علاقة القيم بالفعل الاجتماعي، مجلة الرواق، مجلد ٤، عدد ١، يونيو ٢٠١٨، ص ١٨٩ - ١٨٢
- بوغصب إمبرك، تحولات منظومة القيم وصراع المرجعيات بالمدرسة المغربية، مجلة تحولات معاصرة، المركز المغربي للدراسات والأبحاث المعاصرة، العدد الأول، غشت ٢٠١٦.
- بوغازي الطاهر، إشكالية القيم التربوية المدرسية، مجلة علوم التربية، المجلد الثاني، العدد ١٢، السنة ١٦، مارس ١٩٩٧، ص ٧٧ - ٦٩.

- خليل إدريس، الحيرة الناجمة عن التقدم العلمي والتكنولوجي ضمن "خصاص في الجنوب حيرة في الشمال تشخيص وعلاج"، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة الدورات، مطابع عكاظ، الرباط، ١٩٨٨، ص ٥١ - ٤٣.
- نيا ب فوزية، القيم والعادات الاجتماعية مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠.
- المملكة المغربية، اللجنة الخاصة بالتربية والتكوين، الميثاق الوطني للتربية والتكوين، يناير ٢٠٠٠.
- المملكة المغربية، المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، التربية على القيم بالمنظومة الوطنية للتربية والتكوين والبحث العلمي - تقرير، الرباط، يناير ٢٠١٧.
- المملكة المغربية، المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، رؤية إستراتيجية للإصلاح ٢٠٣٠ - ٢٠١٥.
- المملكة المغربية، اللجنة الخاصة بالتربية والتكوين، الميثاق الوطني للتربية والتكوين، يناير ٢٠٠٠.
- المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية، الكتاب الأبيض، الاختيارات والتوجهات التربوية العامة المعتمدة في مراجعة المناهج التربوية، ربيع الأول ١٤٢٣- يونية ٢٠٠٢، الجزء الأول.
- المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، من أجل نفس جديد لإصلاح منظومة التربية والتكوين، مشروع البرنامج الاستعجالي ٢٠٠٩-٢٠١٢ - التقرير التركيبي، يونية ٢٠٠٨.
- المنجرة المهدي وآخرون، من المهد إلى اللحد (التعلم وتحديات المستقبل)، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ٢٠٠٣، الطبعة الثالثة.
- المودني عبد اللطيف، المدرسة المغربية ومسارات التربية على القيم المشتركة، مجلة دفاتر التربية والتكوين، عدده، ٢٠١١، ص ١٣ - ٩.